وعلى الرغم من الإسهامات القيمة المقدمة من قبل عدد مهم من الباحثين، والتي أسّست إلى إنتاج مقاربة سوسيولوجية شافية لموضوع الثورات العربية، إلا أنّها لم تلقَ حتى الآن الإجماع الكافي على كل ما تم طرحه من قضايا مهمة؛ ذلك لأنّ الحدث ما يزال قائماً ومستمراً ومتغيراً، ولم يفضِ بعدُ إلى أفق واضح المعالم، مما صعّب على الباحث مهمة مجاراة تطوراته السريعة غير المكتملة، وبالتالي الإحاطة بكل جوانبه وتناولها بالدراسة والبحث؛ فالمبحث النظري الذي عادة ما يأتي لاحقاً جعل من المبكر إطلاق حكم نهائي على كل ما قدم من محاولات جادة في هذا المضمار.

لذلك لا تقع إجابة "لا" في موقع الرفض الاتهامي، ولا "نعم" في موقع التبرير، إنما تقعان في حيز الإنصاف، وضرورات الفكر النقدي، وتجنباً للوقوع في فخ الأحكام القيمية المطلقة.

البحث السوسيولوجي غائب أو مغيب

يقول الباحث المغربي في السوسيولوجيا د. عمر الإبوركي، إنّ المعرفة السوسيولوجية ككل معرفة علمية، هي مزيج من الوقائع والجهد النظري تسعى إلى فهم وتفسير الظواهر من خلال علاقاتها القابلة للتكرار، وصولاً إلى اختبار الفرضيات، والقوانين التي تجعلنا نفهم سيرورة مجتمع معين في فترة تاريخية محددة. وهنا لا يمكن تخطّي الوقائع خدمة للفرضيات النظرية أو الأيديولوجية؛ لأن من شأن هذه المعرفة أن تكون مختزلة وسطحية وبسيطة.

ويرى الباحث أنّه ليس هناك تراكم على مستوى الدراسات السوسيولوجية لما يسمّى "الربيع العربي"، فأغلب الدراسات المنشورة حول الإسلام السياسي، ونادراً ما تكون أبحاثاً ميدانية؛ بل تحليلات نظرية تحاول أن تفهم الدوافع السياسية لهذه التحولات دون الغوص في الشروط الاجتماعية والثقافية الحاضنة لعدوى هذه الأفكار والاعتقادات كفاعل أساسي لهذه الحركات، والتي اتخذت في أغلبها منحىً دينياً. لذلك لاحظنا أنّ الكتابات اتخذت موقفاً تجاه هذه الحركات، وخاصة عندما تبنّتها الحركات والأحزاب ذات المرجعية الدينية.

ويتابع الإبوركي حديثه من خلال طرح السؤال الإبستمولوجي التالي: هل استطاعت هذه السوسيولوجيا أن تؤسس قواعدها، وأركانها المتينة، لتواجه الواقع العربي والتحولات التي عرفها؟ أم أنّها بقيت حبيسة للمواقف الأيديولوجية؟

ويقارب الإجابة بقوله: لقد مرت السوسيولوجيا في العالم العربي في عدة مراحل تنظيرية، وقد تمت أغلب الأبحاث السوسيولوجية قبل مرحلة ما

د. عمر الإبوركي
(باحث من المغرب)

ليس هناك تراكم للدّراسات السوسيولوجية لـ"الربيع العربي"، فأغلب الدّراسات المنشورة حول الإسلام السياسي ونادراً ما تكون أبحاثاً ميدانية